الاغتراب في شعر سبط ابن التعاويذي

ا.م.د. علي عيسى محسن

م.د. ايات عبد جوني

قسم اللغة العربية / كلية الآداب

قسم اللغة العربية / كلية الآداب

الجامعة المستنصرية

الجامعة المستنصرية

ali_almaliki@uomustansiriyah.edu.iqayat78@uomustansiriyah.edu.iq

المخلص:

يؤدي فقدان البصر الى نتائج سلبية تؤثر في نفسية الانسان، ويشكل الاغتراب بأنماطه المتعددة اهم هذه النتائج، فإذا أضفنا الى كف البصر سوء الاوضاع الاقتصادية والسياسية والوضع الأسري المفكك علمنا الوضع المأساوي الذي يصل اليه الكفيف، فكيف يكون الحال إذا كان هذا الكفيف شاعرا مّجيدا كابن التعاويذي (ت ٥٨٤هـ) الذي يذكر مترجموه ودارسوه أنه ليس هناك من يضاهيه في عصره.

لقد أدى كف البصر بابن التعاويذي الى انماط متعددة من الاغتراب منها الاغتراب السياسي حيث انقلب عليه مادحوه من الساسة واصحاب المناصب ولم يعيروه اهتماما بعد عقود من المدح الذي رفع من شأنهم وأدخلهم التاريخ من اوسع أبوابه، واغتراب اجتماعي تمثل بنأي أصحابه عنه وتغيرهم بعد مصابه، وأسوأ من هذا قلب عائلته ظهر المجن له وشدة جشعهم وطمعهم، واغتراب زمني يمثل تغير رؤية الشاعر للزمن والدهر باتجاه السوداوية المطلقة وهي نتيجة منطقية لاجتماع نمطي الاغتراب السابقين .

الكلمات المفتاحية : الاغتراب ، ابن التعاويذي ، فقدان البصر ، المكفوف ، العزلة الاجتماعية.

Abstract

Blindness may lead to negative influences on the human soul. Multiple patterns of alienations represent the most important ones of these influences. Addition of bad circumstances to the blindness and broke family situations, may give a clue to the miserable situations that the blind person may reach to. So how is the case for a blind person like Ibn Al-taweethi (Die, 584 H).His interprets and students who studied his life .

as a special character of his era mentioned that the blindness of Ibn AL-Taweethi led him to different patterns of alienations such as : Political alienation at which, his advisers (Politicians and those who possessed high positions turned on him and was ignored by them after centuries of praising that caused them to enter the history from wide doors. The other pattern of alienations was social foreign represented by the behavior of his mates after his injury. Further, he gained poor treatment by his family because of their greediness. Furthermore the last pattern came logically from the assembly of all patterns mentioned before.

Keywords: Alienation, son of a talisman, loss of sight, the blind, social isolation.

المقدمة:

يُلحِق كَف البصر ضرراً فادحاً بالإنسان ويلقى بظلاله على نفسيته ورؤيته للحياة وينعكس غالباً على نمط تعامله مع الناس، ويصبح الضرر أكثر فداحة إذا كان فاقداً للبصر هذا شاعراً كبيراً يمتلئ بالأحاسيس المرهفة كسبط بن التعاويذي (هو ابو الفتح محمد بن عبد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي... ينظر (الحموي، ١٩٩٣، الصفحات ٦٧/٦ - ٢٥٦٧ - ٢٥٦٠) ؛ (خلكان، د.ت، الصفحات ٤٦٦/٤ - ٤٧٣) ؛ (الألوسي، ١٩٧٥، الصفحات ٤٢ - ٦٧) . فقد قيل فيه أنه (شاعر وقته، لم يكن فيه مثله، جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها، وهو في غاية الحسن والحلاوة، وفيما اعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاھيه) (خلكان، د.ت، صفحة ٤٦٦/٤) . وأن (شعره روضة غناء من رياض الشعر العراقي بلغ فيه الفن الشعري الصناعي غايته القصوى) (جواد، ١٩٥٥، صفحة مج ٣/ج ٢ / ١٠١) .

وقد بينت بعض الدراسات النفسية أنّ لفقدان البصر تداعيات كبيرة، كون المكفوفين أكثر تعرضاً للإصابة بالإضطرابات النفسية من المبصرين، وان درجة تكيفهم الاجتماعي أقلّ من المبصرين، وأنهم يعانون جموداً في

سلوكهم بسبب عوامل نفسية أكثر منها عضوية (ينظر، د.ت، صفحة ٢٦) ، ومن الآثار الأخرى لكف البصر ضعف الثقة بالنفس وضعف الشعور بالطمأنينة والأمن التي تؤدي الى التمحور حول الذات والشعور بالأنانية والنرجسية، ومنها ارتفاع مستوى الإحباط والانطواء والكآبة نتيجة تأخر أو ضعف أو عدم إشباع الحاجات الأساسية وتحقق الرغبات والطموحات الشخصية، ومنها أيضاً سرعة الغضب والعدوانية وازدياد الشكوك والأوهام والاستغراق في احلام اليقظة، وعدم المبالاة بالآخرين (ينظر، د.ت، الصفحات ٧٢-٧٣). أما الذكاء فلا يختلف فيه المكفوف عن المبصر إلا في نسبة قليلة وغير ملحوظة (ينظر، د.ت، صفحة ٢٥). إذ يضطر المكفوف الى طلب العون من أسرته أو المقربين اليه كي يستطيع قضاء حوائجهم مما يؤثر في علاقاته مع محيطه وهو ربما يتخذ موقفاً مغايراً برفض هذا العون، ويؤدي كلا الموقفين - قبول العون أو رفضه الى عدم التكيف أو العزلة الاجتماعية (ينظر، د.ت، صفحة ٢٤) . إذ تعد البيئة الأسرية العامل الحاسم في زيادة أو نقصان الضغوط على المكفوف (ينظر، د.ت، صفحة ٧٤) . ولم تتوفر لشاعرنا تلك البيئة الاسرية الصالحة التي تخفف وطأة مصابه إذ لم يجد من أهله الا الطمع والمصلحة الآنية (التعاويذي، ١٩٠٣، صفحة ١٨٧) .

ان الذين يشعرون بالعزلة يتميزون بعدم التأكد من الأمور، والتشاؤم المبالغ فيه من المستقبل، وعدم الثقة التي تصل الى حد الشك، والسخرية من دوافع الآخرين، وأنهم يجدون صعوبة في بناء علاقات قوية مع مجتمعاتهم، ويشعرون بأنهم لا يقومون بأي دور في محيطهم، ويهيمن عليهم شعورٌ برفض الآخرين لهم (ينظر، د.ت، صفحة ٢٨). يقول ابن التعاويذي:-

[الطويل]

أَلَا مَنْ لِمَسْجُونٍ بَغَيْرِ جِنَايَةٍ يُعَدُّ مِنَ الْمَوْتَى وَمَا حَانَ يَوْمُهُ
يُرْوَعُهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ انْتِبَاهُهُ وَطُوبَى لَهُ لَوْ طَالَ وَكَمَتَدَّ نَوْمُهُ
جَفَاءَ بِلَا ذَنْبٍ أَتَاهُ صَدِيقُهُ وَأَسْلَمَهُ لِلْهَمِّ وَالْحُزْنِ قَوْمُهُ

إنّ التداعيات التي يمر بها المكفوف تفتح الباب مهيباً أمام الاغتراب بمختلف أنماطه، ومما يدعم ما نذهب اليه هنا ما توصل اليه باحث اجتماعي معاصر من أنّ مفهوم الاغتراب يتألف من خمسة توجهات متشابكة هي: التركيز على الذاتية، وعدم الثقة، والقلق والاستياء (الأغتراب، د.ت، صفحة ٣٦) ؛ (الاغتراب، د.ت، صفحة ٨٨)

ويذهب بعضهم الى القول أنّ مفاهيم كالعزلة والعجز وعدم الانتماء هي من ضمن خمسة مفاهيم مختلفة للاغتراب فضلاً عن فقدان المعايير وغياب المعاني، فالعزلة الاجتماعية هي أوضح الابعاد الاغترابية حيث ينفصل الفرد من مجتمعه، ويشعر بافتقاده للصلات الاجتماعية مع واقعه. أما الشعور بالعجز فهو يعني ان المرء

يشعر أنه لا يستطيع أن يؤثر في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، وبالتالي لا يستطيع أن يقرر مصيره، أو التأثير في مجرى الأحداث، أو صنع القرارات المهمة التي تخص حياته ومصيره، ويمكن أن يدخل في هذا الاطار العجز الفسيولوجي وما يحدثه من أثر عميق في ذات الفرد، واما عدم الانتماء فإنه يشمل مرحلة أكثر عمقاً وقسوة يشعر فيها الفرد بعدم قدرته على التواصل مع نفسه، وشعوره بالانفصال عما يرغب في ان يكون عليه. وبين احساسه بنفسه في الواقع، أما فقدان المعايير فهي الانفصال بين اهداف الفرد وغاياته الذاتية التي يحيا من اجل تحقيقها، وبين قيم ومعايير المجتمع، وفيما يخص غياب المعاني فإنها تعني ان الفرد يرى الحياة بلا معنى، لكونها تسير وفق منطق غير معقول ولذلك فإنه يعيشها دون مبالاة (الاغتراب في الشعر الجاهلي، صفحة ٦).

ان ما شهده عصر ابن التعاويذي من اضطراب سياسي أيام السلاجقة (العراق، د.ت، الصفحات ١٠:٤-١٨، ٣٠٦-٣٠٨)، وما بعد ذلك⁽ⁱⁱ⁾. أدى الى انعدام الأمن وتردي الأحوال الاجتماعية والاقتصادية (جبير، د.ت، الصفحات ٢٠٠-٢٠٥). وسيادة اتجاهات دينية وفكرية متشددة أدت الى قمع الحريات الفكرية والثقافية (العبود، ١٩٧٦، الصفحات ٦٦-٧٠) (السوداني، ١٩٨٠، الصفحات ٢٩-٣٠). مما أدى في النهاية الى تدهور خطير في طبائع واخلاقيات المجتمع - خصوصاً طبقة العامة - فمال الى الوصولية والتملق والرياء وتغليب المنافع الشخصية (العبود، ١٩٧٦، الصفحات ١٩٤-٢٠٤). فيما التجأ الكثير من افراد المجتمع الى التصوف كسلاً وتراخياً أو هروباً من الواقع المعيشي المزري أو طلباً للثراء والمناصب حتى غدا المتصوفة طبقة اجتماعية لها وزنها وتأثيرها في المجتمع (العبود، ١٩٧٦، الصفحات ٦٠-٦١، ١٩٥). ان ذلك كله يدفعنا الى القول بأن ابن التعاويذي عاش - بعد كف بصره - تجربة اغترابية فريدة ومؤلمة وحادة مع اننا لا ننكر انه عايش الاغتراب بمختلف انماطه حتى قبل فجيئته ببصره (التعاويذي، ١٩٠٣، صفحة ١٩، ٢٧، ٣٧، ٣٩، ٤٥، ٤٧، ٥٣، ٦٠، ١٣٩، ١٤٢). ألا ان التجربة الاغترابية تعمقت لديه بعد كف البصر والتداعيات التي نتجت منه كما سنرى لاحقاً.

مفهوم الاغتراب:

ان ما تقدم من كلام عن مفهوم الاغتراب لا يشكل الا النزر اليسير من تعريفات كثيرة ومتنوعة لهذه الظاهرة التي زاد الاهتمام بها كثيراً في العصر الحديث، بل اصبحت موضوعاً محورياً تشترك فيه العلوم الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والفلسفة والادب، ولكن الاغتراب حتى مع هذا الاهتمام الواسع - لا يزال مصطلحاً غامضاً يندر أن يتفق الباحثون على تحديده، وربما كان تشعبه في هذه العلوم كلها سبباً في غموضه (المحمدي، ٢٠٠١، صفحة ٧). ويؤخذ بنظر الاعتبار هنا ان لكل مصطلح تطوراً تاريخياً، حيث يبدأ بسيطاً ثم يتطور ويستعمل في حالات أوسع وأكثر دقة، وان كثيراً من المصطلحات التي تستقر دلاليها في زمن ما، تجد لها تجليات عملية في

ممارسة ما او ظاهرة تكون قد سبقت تداول المصطلح او جاءت بعد ظهوره من دون ان تكون هناك معرفة بها أو بتسميتها (المحمدي، ٢٠٠١، صفحة ٩) . ولا يستطيع الباحثان الاحاطة بكل ما كتب عن الاغتراب نظراً لكثرتة وتشعبه وسنقتصر على اهم ما كتب فيه (المحمدي، ٢٠٠١، الصفحات ١٣-٤٩) .

يعود الاصل اللغوي للفظ الاغتراب الى الفعل الثلاثي (عَرَبَ)، فالعَرَبُ الذهابُ والتتحي ، واغرابُهُ نَحَاهُ، وفي الحديث ان النبي (ﷺ) أمر بتغريب الزاني سنة إذا لم يحصنُ أي نفيه عن بلده، والغربة والعَرَبُ النوى والبعْدُ، والغربة والعَرَبُ النزوحُ عن الوطن والاغترابُ، واغترَبَ الرجلُ نَكَحَ في الغرائبُ، وتزوج الى غير أقاربه (منظور، د.ت، صفحة مادة عَرَبَ). فدلالات الاغتراب لغوياً تدور حول الاغتراب المكاني (الذهاب ، والنوى، والبعد، والنزوح) والاغتراب الاجتماعي (تغريب الزاني والنكاح في الغرائب) (المحمدي، ٢٠٠١، صفحة ١٢). ومع ان الأصل اللغوي للغربة، والاغتراب واحد هو الفعل (عَرَبَ) فإن دلالتيهما تختلف الى حد ما ، ففي الاغتراب معنى القصد والتصميم وهو على وزن (الافتعال) ومن معانيه الصرفية الزيادة والمبالغة نحو ارتد اي بالغ في الردة وفي الغربة معنى العفوية المنبثقة من واقعية التجربة وهي على وزن (فُعلة) ومن معانيها القلة نحو نُطفة وهي القليل من الماء (الاغتراب في الشعر الجاهلي، صفحة ٣) .

ان الاغتراب - كظاهرة - موضوع أزلي، موجود منذ فجر التاريخ، سبق وجوده الوعي به بكثير (زامل، ٢٠٠٣، صفحة ١٢) . وهو معروف وشائع في جميع العصور، يحياه جمعٌ من الذين يعيشون حالات خاصة تكتنفها احوال من المعاناة (المحمدي، ٢٠٠١، صفحة ١٤). لكنه أيضاً لازمة حياتية مكنت الانسان من صنع تقدمه الفكري والثقافي والفلسفي والعلمي، فهو يصنع حياة جديدة بأن نحيائها (الاغتراب، د.ت، صفحة ٥٠) .

ويعدُّ هيجل أهم فيلسوف درس الاغتراب في العصر الحديث، فقد درج على استعماله استعمالاً مقصوداً في مؤلفاته، ولذا يعده بعض الباحثين أبا الاغتراب، والاغتراب عنده واقع وجودي متجذر في وجود الانسان في هذا العالم، وأنَّ هناك ثمة انفصام بين الفرد بوصفه ذاتاً مبدعة خالقة تريد أن تكون وأنَّ تحقق نفسها، وبين الفرد بوصفه موضوعاً واقعاً تحت تأثير الآخرين، وقد عرّفه بأنَّه حالة عدم القدرة او العجز التي يعانيتها الانسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتوظف لصالح غيره بدل أن يسيطر هو عليها، وبهذا يفقد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الاحداث التاريخية بما فيها تلك التي تهمة وتسهم بتحقيق ذاته وطموحاته (المحمدي، ٢٠٠١، صفحة ٣٧) .

ويرى فرويد أنّها سمة متأصلة في وجود الذات الانسانية، ولا سبيل لتجاوزها أو انكارها (الاغتراب، د.ت، صفحة ٦٨). وقد توصل في أبحاثه الى نتيجة مفادها أنّ الانسان ككائن معذب في عمق وجوده، حتى انه لا يعي مصادر عذابه، فيلجأ الى وسائل تخفيفية منها مثلاً اللجوء الى اختراع الاوهام (ألاغتراب، د.ت، صفحة ٥٢).

أما أريك فروم الذي يعد أكثر علماء النفس استعمالاً لمفهوم الاغتراب فقد خالف استاذة فرويد ورأى ان الاغتراب ليس صفة متأصلة في الطبيعة الانسانية وانما هو وليد ظروف موضوعية وذاتية، ويرى ايضاً الاغتراب نمط من التجربة يرى نفسه فيها كما لو كانت غريبة عنه، وان الاغتراب يختلف بحسب طبيعة التجربة التي يمر بها الانسان (الاغتراب في الشعر الجاهلي، صفحة ٢٦).

وتورد دائرة المعارف البريطانية الجديدة ست دلالات للاغتراب ترى انها الأكثر انتشاراً وهي: العجز، والاستسلام، والهراء وفقدان المعنى، والتحلل من القواعد العامة المتبعة، والغربة الثقافية، والعزلة الاجتماعية، والغربة الذاتية (المحمدي، ٢٠٠١، الصفحات ١٣-١٤).

مما سبق يتضح ان للاغتراب معانٍ متعددة نظراً لدخوله في ميادين مختلفة كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد والادب، لكننا نلمح قاسماً مشتركاً في مفهوم الاغتراب في هذا الميادين، حيث الانفصال وعدم التوافق والانسجام مع الذات الفردية، او البنية الاجتماعية والسياسية او الظروف الاقتصادية (الاغتراب في الشعر الجاهلي، صفحة ٣٩). ويبقى المجتمع الأول في احداث الاغتراب لما فيه من ازمات ومتناقضات وانعدام للمنطق، مما يحدث شرخاً في داخل الانسان، ويؤدي به الى الاحباط والنزعة الانفرادية والتوحد (الاغتراب في الشعر الجاهلي، صفحة ٥).

أنماط الاغتراب عند ابن التعاويذي:

يلاحظ في شعر ابن التعاويذي الذي نظمه بعد فقده البصر (الألوسي، ١٩٧٥، الصفحات ٩٣-١٠٠) (iii). تطوراً في اللغة الشعرية المستخدمة على صعيد الاخيلة والمعاني والاستفادة من الفنون البديعية كما سنرى لاحقاً، وقد يكون مرد ذلك الى الاثار النفسية الى خلفها فقد البصر من عزلة وشعور بالنقص مما حدا بالشاعر الى التعويض عن طريق تطوير ادائه الشعري (عيسى، ١٩٧٩، صفحة ٦٨). وبشكل عام توجد في هذا الشعر ثلاثة أنماط من الاغتراب : الاغتراب السياسي والاجتماعي، والاغتراب الزماني، وقد تحوي القصيدة الواحدة من هذا الشعر أكثر من نمط اغترابي.

أولاً: الاغتراب السياسي:

سبق لنا الالماح الى ما آلت اليه احوال بغداد من التردّي أبان القرن السادس الهجري من جور السلاجقة والخلفاء العباسيين وبطش الأمراء المماليك وظلم الوزراء والقضاة والحجّاب وكتّاب الدواوين وغيرهم، وقد ضجّ الشعراء بالشكوى من هذه الأحوال ومن ولّاة الأمور، إذ لم يجدوا في ظلهم أمناً ولا عدلاً ولا رغيماً يسد رمقهم ورمق عيالهم (العبود، ١٩٧٦، الصفحات ٢٧-٢٨، ٨٢، ١١ - ١١٤). وكان ابن التعاويذي من اولئك الذين اولعوا بهجاء تلك الأحوال وكبار شخصيات الدولة (التعاويذي، ١٩٠٣، صفحة ٤٥، ٤٧، ٥٩، ٦٠، ٦٩، ٧٥، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٤) الامر الذي دعا بعض الباحثين الى القول انه كان ظهيراً للمستضعفين المظلومين من ابناء بلده (الآلوسي، ١٩٧٥، الصفحات ١٠٤-١٠٧). وهو رأي ينافي واقع الحال، فسيرته وديوانه يثبتان عكس ذلك، فهو احد شعراء الديوان العزيز (العبود، ١٩٧٦، الصفحات ٨٧-٩٧). وديوانه طافح بمدائح الخلفاء والوزراء وأكابر رجال الدولة ممن اذاقوا الشعب صنوف العذاب، وأما هجاؤه لبعض ساسة عصره احياناً فهو مجند لأغراض ذاتية بحتة كأن كان يكن طعنأ في ممدوح لم ينل منه ما تمنى (التعاويذي، ١٩٠٣، صفحة ٢٦٩، ٢٦٦، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٥٦). او بدفع من شخص ما (العبود، ١٩٧٦، الصفحات ١٣٩ - ١٤١)، وهكذا فمن هجائه قوله في أحد الوزراء:

يا ربّ قدّ حجّ الوزير وماله في الحجّ رغبة
لكن مخافة أن يحلّ به عن السبّطان نكبة^(٧)
يا ربّ قد وافاك منه ومن ذويه شرّ عصبه
فاسدّد مسالكهم ولا تزدد لهم يا ربّ غربة^(٧)

أما الشعر الذي يمثل اغترابه السياسي بعد فقدّه البصر فيتمثل في شعر الشكوى والهجاء الموجود في قصائد المدح التي نظمها في الخليفة الناصر لدين الله واستاذ دار الخلافة (الأثير، ١٩٨٢، صفحة ١١/٥٦٢) (٧) مجد الدين ابن صاحب (الأثير، ١٩٨٢، صفحة ١١/٥٦٢) (٧)، إذ يتخذ اغلب هذا الشعر اتجاهين: الأول اتجاه صريح (مباشر) والثاني اتجاه ضمني (غير مباشر) إذ يتخذ الاتجاه الثاني اهميته من أنّ اللغة المستخدمة فيه لغة ذكية جداً ومناورة تحتمل اكثر من وجه، ظاهرها غزل وعتاب وتشبيب كما اعتاد الشعراء ان يفعلوا في المقدمات الغزلية، وباطنها رسائل فيها من التقرّيع والهجاء الشيء الكثير، وابن التعاويذي كثيراً ما شكى مما آلت اليه حاله بعد فقدّه البصر بأسلوب حزين ومؤثر ذاكراً مطالبه من الممدوح بشكل مباشر وصريح، وحين يواجه النكران والصدود والتسويق يكرر الطلب مُعزّضاً بممدوحه ضمناً وبشكل غير مباشر، فهو لقي من الرجلين نصباً، ولا يعتد باطرائه

لهما في خطبة ديوانه التي كتبها قبل فقده البصر (التعاويذي، ١٩٠٣، الصفحات ١٢-١٣). فهذا الاطراء ليس بشيء ما دام قدج قال في الخطبة ذاتها (فلا أمدحُ ألا عظيماً أخافهُ) (التعاويذي، ١٩٠٣، صفحة ١٢) وقد سألهما العون مراراً وتكراراً بعد مصابه، فهو يقول لأستاذ الدار في مدحه له سنة (٥٧٩هـ) متفجعاً ظناً منه ان الاغراق في التقجع يستجلب العطاء الجزيل:-

[الطويل]

رُزِنْتُ بِعَيْنِ طَالَمَا سَهَرْتُ مَعِي لِنُظْمِ مَدِيحٍ أَوْ لِرِصْفِ ثَنَاءٍ
خَدَمْتُ بِهَا لِآدَابِ خَمْسِينَ حِجَّةً وَأَجْهَدْتُهَا فِي خِدْمَةِ الْخُلَفَاءِ

وَمَا أَنَا كَالْمَقْبُورِ فِي كِسْرِ مَنْزِلٍ سِوَاءِ صَبَاحِي عِنْدَهُ وَمَسَائِي^(viii)

[الطويل]

ويطريه مادحاً ومن ثم يعرض له طلبه:-

أُنَادِيكَ مَرْجُوًّا لِسَدِّ خِصَاصَتِي وَمِثْلِكَ مَنْ لَبَّى نَدَاهُ نِدَائِي
وَمَا لِي لَا أَدْعُوكَ فِي يَوْمِ شِدَّتِي وَأَنْتَ مُجِيبِي فِي زَمَانِ رَخَائِي^(ix)

[الطويل]

ويسأله ان يوصل حاله الى الخليفة:-

وَكُنْ لِي إِلَى جُودِ الْخَلِيفَةِ شَافِعًا أَنْلَ حَاجَتِي مَا كُنْتُ مِنْ شَفَعَائِي^(٥٣)

ويبدو ان شيئاً مما رجاه منه لم يحصل فلا وجود يُقنه ولا الخليفة ينتبه لحاله (القصيدة (٥٧) في ديوانه). فيعود اليه مادحاً في العام التالي معرضاً بحاجته غير المقضية مؤثراً ان يكون ذلك في المقدمة الغزلية وبخطاب المؤنث:-

[مجزوء الرمل]

بَابِي مَنْ عَذَّبَ الْقَلْبَ مَلَأَ وَجْهَاءِ

ينقضي الغمز ولا ينوين للدين قضاء (x)

ويؤكد هذا الغمز بخطاب اقرب الى المباشرة وبالتذكير هذه المرة:-

وأخ لم يزع لي في مذهب الود الإخاء (xi)

فلما لم يرى منه شيئاً عاد اليه سنة (٥٨١هـ):- مقرأً أياه هذه المرة وبالتلميح والتعريض في المقدمة الغزلية وخطاب المؤنث كي لا يستثير غضبه:-

[المنسرح]

نَارٌ جَوَى فِي لُضْلُوعٍ تَتَّقِدُ وَمُهَجَّةٌ قَدْ أَدَابَهَا لُكَمْدُ

عَرَضَنِي لِلسَّقَامِ عَارِضُهُ وَمُدُّ وَهَى خَصْرُهُ وَهَى لَجَلْدُ

كَيْفَ اضْطَبَارِي عَنْهُ وَقَدْ فَنَيْتُ نَخَائِرُ الصَّبْرِ فِيهِ وَالْغُدُّ

أَحُومٌ مِنْ حَوْلِهِ وَبِي ظَمًا إِلَى جَنَّا رَيْقِهِ وَلَا أَرْدُ

أَشْكُو إِلَيْهِ وَجَدِي وَأَهْوَنُ مَا مَرَّ عَلَى مَسْمَعِيهِ مَا أَجْدُ (xii)

التعريض والغمز من قناة الممدوح ثانية حتى في ثنايا المدح:-

لَا تَشْكِيهِ ظَالِمًا فَمَا فَسَدَ الدَّهْرُ وَلَكِنْ أَبْنَاؤُهُ فَسَدُوا

يَفْدِيكَ يَا مُحَكَمَ الإِعَادَةِ وَالْعَقْدِ رِجَالٌ لِلنَّكْثِ مَا عَقَدُوا

لَا يَضْمُرُونَ الوَفَاءَ إِنْ عَهَدُوا عَهْدًا وَلَا يُنَجِّزُونَ إِنْ وَعَدُوا (xiii)

وعاوده في سنة ٥٨٣هـ خوفاً وطمعاً معرضاً به في المقدمة كحالته دائماً:-

والشعراء حين لا يستطيعون الوقوف بوجه ولاة الأمر المتجبرين ولا يستطيعون الجهر بالمساوي التي يخلفها هؤلاء يلجأون الى مهاجمة الزمن وصب غضبهم عليه، وهم يعلمون ان أهل الزمن أو حكامه هم اساس البلاء (السوداني، ١٩٨٠، صفحة ١١٧).

وقد اتخذ السبط من هجاء الزمن قناعاً يخفي وراءه هجاءه للظالمين من ساسة البلد في حال لم يحصل منهم على مراده، فهو يقول في إحدى مدائحه للخليفة:
[الكامل]

زَمَنْ خَلَّتْ أَيَّامُهُ وَعُهُودُهُ وَتَنَكَّرَتْ أَتْرَابُهُ وَوَلَدَاتُهُ^(xviii)

[الطويل]

ويقول لابن الصاحب:-

جَفَاءً مِنَ الْأَيَّامِ بَعْدَ مَوَدَّةٍ وَسَلْبًا مِنَ الْأَيَّامِ غَبَّ عَطَاءٍ
تَنَكَّرَتْ الدُّنْيَا عَلَيَّ فَفَوَّقْتُ إِلَيَّ سِهَامَ الْعَدْرِ بَعْدَ وِفَاءٍ^(xix)

ومما يؤكد ذلك ما سبق ان أوردناه من اتهامه ابناء الدهر بالفساد في سياق إحدى مدائحه لابن الصاحب، ويُفهم من ذلك كله ان شاعرنا عاش اغتراباً سياسياً لسببين هما فقدته البصر وعدم تحقيق ساسة البلد مطالبه، فقد جعله فقد البصر يعايش القلق والعزلة الاجتماعية إذ لم يجد حاجاته ملبأة، وحاجاته هذه كثيرة تتناسب مع كثرة عياله ونهمهم ومع صعوبة تحقيق هذه الحاجات في ظل تعسر الحياة وندرة الأرزاق واتساع رقعة المظالم التي جلبها ساسة البلد، ولم الشاعر من هؤلاء الساسة أداناً صاغية ولا وفاءً مع كثرة مدحه لهم ورفع له شأنهم بل ومنافحته عنهم ضد خصومهم، ومع ذلك استمر بالمدح مازحاً اياه بالتعريض تارة لعلمهم يستجيبون، وبالهجاء الخفي والتفريع تارة أخرى، فهو من جهة يرتجي نفعهم ومن جهة أخرى يخشى بطشهم إذا ما صر بهجائهم أو انقطع عن مدحهم، فكانه اختار مواصلة مدحهم خوفاً ورجاء معروضاً بهم ومقرراً كلما سنحت له فرصة حتى إذا لم يجد في ذلك كله نفعاً مع تقادم العمر واقترب الموت نفى يديه عنهم وأعلن حزنه على نفسه ويأسه ممن لا رجاء فيهم.

ثانياً: الاغتراب الاجتماعي.

يُعرف بعضهم الاغتراب الاجتماعي بالقول: أنه شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين، أو عن القيم والاعراف والعادات السائدة في المجتمع أو عن السلطة السياسية الحاكمة، اضافة الى ما يصحب ذلك من احساس بالألم والحسرة، أو بالتشاؤم واليأس، وما يرافقه احياناً من سخط وتمرد أو ثورة (سلامي، ٢٠٠٠، صفحة ١٥١). وقد كانت الظروف الموضوعية للاغتراب متوافرة في بيئة بغداد في الربع الأخير من القرن السادس الهجري فحين زار الرحالة ابن جببر بغداد سنة (٥٨٠هـ) وصف اخلاق اهله وسلوكهم بقوله: (اما اخلاق اهله فلا تكاد تلقى منهم ألا من يتصنع بالتواضع رياءً ويذهب بنفسه عُجباً وكبرياءً، يزدريه الغريباء ويُظهرون لمن دُونَهُم الألفة والآباء... فالغريب فيهم معدوم الارفاق، متضاعف الانفاق، لا يجد من اهله الا من يعامله بنفاق، أو يهش اليه هشاشة انتفاع واسترقاق، كأنهم من التزام هذا الخلة القبيحة على شرط اصطلاح بينهم واتفاق، فسوءُ مُعاشرة ابنائها يُغلب على طبع هوائها ومائها) (جببر، د.ت، صفحة ١٩٤). وشهادة ابن جببر هذه لها اهميتها بوصفه قد لمس هذا الواقع على الارض وليس له في وصفه هذا ما أرب بيتغيها الا الحقيقة فهو رجل رحالة غريب عن البلد وصف ما رآه وما عايشه بحذافيره، وان ما يصفه هو النتيجة النهائية التي وصلها المجتمع، نتيجة امتلتها قرون الاضطرابات والصراع على السلطة والصراع بين المذاهب وبين الاجناس وشيوع الفساد الخلقي والطغيان السياسي والتفاوت الطبقي (سلامي، ٢٠٠٠، الصفحات ٩٤-٩٥) وفي ظل التغيير المستمر وعدم الاستقرار في حياة الافراد يصبح الشعور بالاغتراب والوحدة نتيجة حتمية^(xx). فلا غرو اذن ان ينفصل مثقفوا بغداد عن مجتمعاتهم بعاداته وافكاره، وانفصال يبنى احياناً عن تمرد أو سخط أو شك أو عجز عن التلاؤم والتوافق مع البيئة السائدة.

وقد عانى ابن التعاويذي من شظف العيش وذاق مرارة الحرمان وعسف ولاة الأمور، وقضى عمره في سؤال الخلفاء والوزراء ولعلية القوم وكل من له سلطة ونفوذ، وتفاقت معاناته اكثر بعد فقد البصر مع ازدياد عجزه عن تحقيق حاجاته وزيادة اعتماده على الآخرين (الاغتراب، د.ت، صفحة ٥٢). ففي ظل (صراع الانسان مع الواقع الاجتماعي، وفي ظل الحاجات المادية الاساسية للإنسان يتعمق الشعور بالاغتراب، وتزداد محنة الذات، ويتأجج الصراع بين الذات والآخر) (الاغتراب في الشعر الجاهلي، صفحة ١١٥). وقد يكون هذا الآخر أقرب المقربين اليه، أهله وبنوه، الذين شعر بجفائهم وانه لا يربطهم به الا المنافع الآنية. يقول في ذلك:-

[المنسرح]

وَلِي عِيَالٌ لَا دَرَ دَرُهُمْ قَدْ أَكْلُونِي دَهْرِي وَمَا شَبِعُوا
لَوْ وَسَمُونِي وَسَمَ لَعَبِيدٍ وَبَا غُونِي بِسَوْقِ الْأَعْرَابِ مَا قَنِعُوا

إذا رأوني ذا ثروة جلسوا حولي ومألوا إليّ و اجتمعوا
 وطالما قطعوا حبالِي إغـ راضاً إذا لم يكن معي قطع
 يمشون حولي شتى كأنهم عقارب كلما سغوا لسغوا^(xxi)

ويستمر الهجاء الساخر المشوب بالآلام والحسرة الأبوية:- [المنسرح]

نظرت في نفعهم وما أنا في تلاب نفع لأولادٍ مُبتدع
 وقُلْتُ هذا بعدي يكون لكم فما أطاعوا أمري ولا سمعوا
 واختلسوه مني فما تركوا عيني عليه ولا يدي تقع
 فبئس والله ما صنعت فأضد ررت بنفسي وبئس ما صنعوا^(xxii)

وهذه السخرية ما هي الا وسيلة لجأ اليها شاعرنا ليس من عياله حسب بل من المجتمع الذي أوصله الى هذا الدرك (ينظر، د.ت، صفحة ٣٠) ، فإذا كان هذا حال عياله من الجفاء وسيادة المنفعة فلا عجب ان تتقطع حبال اخائه مع الصحاب:- [الطويل]

جفاه بلا ذنب أتاه صديقهُ وأسلمهُ للهّم والحزن قومهُ^(xxiii)

ومن البديهي ان يرى المكفوف ان مصابه بعينه احدى الطوارق التي يعجز عنها الصبر وانها اساس كل ويلاته^(xxiv) : [السريع]

فيا لها طارقة هذني طرُقها في آخر العمر
 طارقة مثل بي مسها يعجز عن أمثالها صبري
 فلا رعاها الله من حالة ثالثة للشيب والفقير^(xxv)

طارقة أودت به الى العزلة القسرية بعد تنكر الأهل والصحاب:-

حبيس بيت مفرداً مسلماً فيه الى الأحزان والفكر
 تضيق عن خطوي أقطاره وهو رحيب واسع القطر

كَأَنِّي فِي قَعْرِ جَائِمًا مَيِّتٌ وَمَا أَلْحَدُ فِي قَبْرِ
نَاءٍ عَنِ الْأَحْيَاءِ فِي بَرَزِخٍ مُنْقَطِعٌ عَنْ بَيْنِهِمْ ذِكْرِي^(xxvi)

وجعلته يشعر بأنه دون بني البشر:-

كَأَنِّي لَسْتُ مِنَ النَّاسِ فِي شَيْءٍ وَلَا دَهْرُهُمْ دَهْرِي
وَمَا لِأَنسَانِيَّتِي شَاهِدٌ عِنْدِي سِوَى أَنِّي فِي خُسْرِ
أَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ أَصْحَبُهَا عُمْرِي^(xxvii)

وهو الذي افتخر بشعره طول حياته (التعاويذي، ١٩٠٣، صفحة ١٢). ورأى أنه الأولى بالتقديم وهجا من قدم غيره (التعاويذي، ١٩٠٣، الصفحات ١٥-١٦)، فإذا به يكتشف بعد مصابه ان الشعر جر عليه الهوان ورقة الحال:-

فَلَيْتَ شِعْرِي يَا زَمَانِي مَتَى أَخْرَجُ مِنْ دَائِرَةِ الشَّعْرِ^(xxviii)

لقد قر في ذهن الشاعر الذي عاش الفقر وضنك العيش ان فقد البصر من سوء حاله وتشنت من حوله الأهل والصحاب فلم يعد احد يبالي به الا بمقدار ما ينتفع منه، فارتقى في احضان الوحدة والعزلة التي اذاقته القلق والهوان فلم يجد بداً من ترجمة آلامه تفجعاً تارة وسخرية تارة أخرى لعله بهذا يخفف شيئاً مما يعانيه، وقد يكون مصابه وعزلته وهو أن حاله الحافز الأقوى الذي جعله يرتقي بأشعاره في محاولة منه لتعويض نقصه، وقد اسهمت هذه الاشعار في جعله شاعر العراق في وقته (الحموي، ١٩٩٣، صفحة ٦ / ٢٥٦٠) (خلكان، د.ت، صفحة ٤ / ٤٦٦)

ثالثاً:- الاغتراب الزماني

يبدو ان مشكلة الزمان هي المشكلة الاساسية في الوجود الانساني (برديائف، ١٩٨٢، صفحة ١١٩)، ويظل الانسان الطرف الضعيف الخاسر دائماً في معادلة طرفها الآخر هو الزمان ومرادفاته (الدهر، الليالي، الايام، الدنيا الخ) فهو الطرف الذي تتعاوره العلل ويهدده الفناء في اي لحظة في مواجهة حقيقة كونية عظيمة وسرمدية، فلا يملك الا الاستسلام والخضوع، ومن أجل ذلك نسبت كل الاحداث العظيمة التي تجري على الانسان وعلى بيئته الى هذه القوة العظيمة، وقد حملها الانسان مسؤولية الامه واخفاقاته ولم يتورع عن كيل التهم

اليها ناسياً أو متناسياً أن كل هذا يجري بأمر الله عز وجل ولحكمة ارادها، كان هذا ديدن العرب في الجاهلية، وقد اشار سبحانه وتعالى الى ذلك في قوله على لسان أهل الجاهلية: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِدَلِكٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية آية ٢٣-٢٤). وقد توارث الشعراء جيلاً بعد جيل هذه اللازمة فأولعوا بهجاء الدهر ومرادفاته فهو المسؤول عن فراق الاحبة وتوالي العلل والفقر ونضوب الشباب وهجوم الشيب وغدر الناس .. الخ. وقد شكى ابن التعاويذي دهره مر الشكوى مراراً وتكراراً سواء قبل عماء (التعاويذي، ١٩٠٣). أو بعده ويتمثل موقفه من الدهر بعد مصابه في بعدين: الأول معاشة الحاضر وتصور المستقبل عبر التجعج والسوداوية والتشاؤم، والثاني هروب من الواقع عبر استنكار الماضي، وقوام البعدين عند شاعرنا موضوعات شكوى الدهر والموت والليل والشيب والشباب.

ان كف البصر يجعل الانسان كثير الشكوى ودائم الشعور بالظلم والاضطهاد (xxix). فلا يجد الا الزمان الظالم ومرادفاته مرمى لسهامه:- [الكامل]

فَأَسْلَمَ لِمَوْتٍ أَبَتْ أَنْ عِنْدَ الزَّمَانِ دُيُونُهُ وَتِرَاتُهُ
ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ وَقُورِبَ خَطْوُهُ فَكَأَنَّمَا سُدَّتْ عَلَيْهِ جِهَاتُهُ (xxx)

[مجزوء الرمل]

مَا لِأَحَدٍ خُطُوبٍ كَيْدُهَا يَمْشِي الضَّرَاءِ
عَصَفْتُ عِنْدِي وَهَبْتُ فِي بَنِي الدَّهْرِ رُخَاءِ
وَكَذَا الأَيَّامُ لَا تَعْتَامُ إِلَّا الفُضْلَاءِ (xxxi)

[السريع]

مَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَبَا الدَّهْرِ بِي فَمَلَّتْ يَأْسَلِي مَعَ الدَّهْرِ
ذُنْبِي إِلَى الأَيَّامِ حُرَيْتِي وَلَمْ تَزَلْ أَلْبَاءُ عَلَى الحُرِّ (xxxii)

ان فجيعة الشاعر ببصره وفقدانه الدعم الاسري والمجتمعي والعزلة القسرية وتقدم العمر كفيلة بازدياد التشاؤم والقلق من المستقبل أو بعبارة أدق القلق من الموت (xxxiii):-

[الكامل]

فاليومَ عودُ الدهرِ مُحْتَطَبٌ ذاوٍ وشمسُ العُمُرِ في الطَّفْلِ
لَمْ يَبْقَ لِي فِي لُدَّةِ أَرَبِّ أَنَا مِنْ زِحَامِ الْهَمِّ فِي شُغْلِ
أُبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَعَلَى اقْتِرَابِ مَسَافَةِ الْأَجْلِ (xxxiv)

ولقد فتحت العزلة التي عاشها ابن التعاويذي بعد مصابه الطريق لاستبداد فكرة الموت بتفكيره (xxxv) وهو ما تعده بعض الدراسات النفسية أمراً غير سوي يدل على اضطراب انفعالي (xxxvi):-

[الطويل]

كأني ميتٌ لا ضريحٍ لجنبه وما كلُّ ميتٍ لا أبا لك يُضْرَحُ (xxxvii)

وقد شكل الليل لشاعرنا وقتاً تتوالد فيه الهموم، فهو يشكل الذروة في الوحدة والعزلة، وقد عكس سواده قتامة النفس المثخنة بالهموم (الاغتراب في الشعر الجاهلي، صفحة ١٧٢) ، والعتمة الادبية التي يستشعرها المكفوف:

[الطويل]

يا لك من ليلٍ جِبا بٍ جُنْحُهُ مُعْتَكِرُ
ظلامُهُ لا يَنْجِلي وَضُبْحُهُ لا يَسْفِرُ
لَيْسَ لَهُ إِلَى الْمَمَاتِ آخِرُ يُنْتَظَرُ
ما في حياةٍ معه لذي حِصَاةٍ وَطَرُ (xxxviii)

إن تعبير الشاعر عن دهشته من الليل الطويل المعتكر كان انعكاساً لشعوره الداخلي وذلك من خلال لفظه (حجاب) التي تتم عن الضيق الذي يمر به مؤكداً ذلك عبر ثنائية (ظلامه لا ينجلي) (و صبحه لا يسفر) معبراً بذلك عن امتداد تلك الظلمة الى الممات، وما ذلك الليل ولا تلك الظلمة سوى عماه الذي طغى على كل شيء من حوله، وخلق له عالماً معتماً، مؤسساً تفرده المأساوي وعاكساً الآمه ومعاناته النفسية.

وتستدعي مسامرة الليل ثنائية الشباب والشيب، إذ تقف القوة واللهو والغواني الى جنب الشباب، فما يصطف الوهن
وصدود الغواني الى جنب المشيب:-
[الكامل]

عَصْرُ الشَّبَابِ تَصَرَّمَتْ أَوْقَاتُهُ وَتَبَسَّمَتْ عَنِ فَجْرِهَا لَيْلَاتُهُ
أُودِيَ بِجِدَّتِهِ الْمَشِيبُ فَأَخْلَقَتْ أَثْوَابُهُ وَاسْتَرْجَعَتْ عَارَاتُهُ
كَانَ الشَّفِيعَ إِلَى الْحَسَنِ فَمُذْمُومِي أَمَسَتْ تَعُدُّ مَسَاوِيًا حَسَنَاتُهُ^(xxxix)

وهنا نستطيع ان نلمس نوعاً من التوقيع الصوتي الذي احده الشاعر من خلال عدة عناصر ايقاعية تنغيمية،
فمن خلال عنصر التكرار في التاء الانفجاري في (تصرمت اوقاته، وتبسمت ليلاته، بجده، فأخلقت، استرجعت
عاراته، أمست، تعد حسناته) والشين في (الشباب، المشيب، الشفيع) فضلاً عن السين الصفيري المهموس في
(تبسمت، استرجعت، الحسان، مساوياً حسناته) اقام الشاعر بناء موسيقياً دالاً على نفسية تعلق أو تهبط لتكون
بمجموعها ايقاعاً منسقاً ومتناغماً، فالتكرار يخلق ذلك الجرس الموسيقي (عبر اصوات الالفاظ والحروف المؤدية
الى خلق مستوى صوتي يتناسب والصورة التي يرسمها الشاعر لإثارة المتلقي وشد انتباهه وجذبه الى ما يريد
التعبير عنه) (القيم الجماليه في شعر الكميث بن زيد الاسدي ، صفحة ٥٥) خدمة للغرض الذي ينظم فيه وهو
التعبير عن الحسرة والندم على الشباب المنقضي.

ومما يعمق معنى الحسرة مقارنة الشاعر بين ايام الشباب ولياليه التي يراها - لهنائها كومضة البرق:-
[المتقارب]

كَأَنِّي رَأَيْتُ زَمَانَ الشَّبَابِ وَنُصْرَةَ عَيْشٍ بِهِ فِي الْكَرَى
وَمَا كَانَ مَرُّ لَيْالِي السُّلُوبِ إِلَّا كَخَطْفَةِ بَرَقٍ سَرِي^(xi)

وبين ايام المشيب المعتمة ولياليه الوئيدة التي كبدها رهينا للهموم والآلام المبرحة، يقول:-
[الكامل]

دَهْرٌ رَمَانِي فِي قَرَارَةِ مَنْزِلٍ صَنَكِ نَهَارِي فِيهِ لَيْلٌ مُعْتَمٍ
لَيْلِي بِهِ لَيْلُ السَّلِيمِ وَإِنِّي لِلْهَمِّ وَالْبُرْحَاءِ فِيهِ لَمُسَلِّمٌ^(xli)

هنا يشير الفعل (رمى) الى وجود تعارض بين الفعل والدهر، ويتضح البناء الاستعاري للدهر في الاستعارة التشخيصية (دهر رمانى) فالفعل هو رمى والفاعل هو الدهر، وقد قام الشاعر بتشخيص الدهر عندما اسبغ عليه فعلاً انسانياً هو الرمي فأصبح الدهر داخلاً في الاطار الانساني خارجاً عن مجال المجرى مما يؤكد فاعلية الدهر في حياة الشاعر وموقفه منه، وهي فاعلية لا تُرد وذلك لأنه محسوس الفعل أذ بين الشاعر التحولات التي طرأت عليه بياناً ضمنياً (الاعتراب في الشعر الجاهلي، صفحة ٦٩٣)، فضلاً عن ان دلالة الفعل (رمى) تعيدنا الى الصورة الحركية للفعل (الرمي في البئر المظلم)، فالفعل الماضي يمثل دلالة الانحصار والقيود في مكان ضنك وهو المنزل بدليل الاسم (قرارة) وهي استعارة ثانية جاءت ليؤكد الاستعارة الأولى، فالعل (رمى) يمثل بعداً زمنياً والجملة (في قرارة منزل ضنك) تمثل بعداً مكانياً، وهو ما أكد المعنى واغناه، ومما يشير الى محدودية المدى على سيطرة الفكر السوداوي المتشائم على الشاعر بحيث لم يدع له مجالاً للتفكير واستخلاص العبر.

الخاتمة:

لقد أدى كف البصر الى تبلور ثلاثة انماط اغترابية في شعر سبط ابن التعاويذي هي:-

١. اغتراب سياسي:- تجلى في شعر الشكوى والهجاء الموجود في قصائد المدح التي قالها في الخليفة الناصر لدين الله واستاذ الدار مجد الدين ابن صاحب، وفيه اتجاهان اولهما صريح يشتكى فيه حالة للرجلين استدارا لعطفهما، والآخر وهو الأهم هجاء ضمني لهما وتعريض بهما وغمز من قناتهما يأتي به الشاعر في المقدمة الغزلية وبين ثنايا المدح باستخدام لغة يحمل باطنها من المعاني اضعاف ما في ظاهرها في تجلٍ واضح لذكاء الشاعر وبراعة اسلوبه.
٢. اغتراب اجتماعي:- تمثل في مجموعة اشعار تترجم عزلة الشاعر وعجزه وقلقه وتشاؤمه وانسداد افق الحياة أمامه بسبب اتساع الهوة بينه وبين عياله واصحابه نتيجة عماء وتقهر اخلاقيات المجتمع وسيادة المصالح الذاتية.
٣. اغتراب زمني: وهو اكثر نمط اغترابي طرقة الشاعر بعد عماء، ويتمثل موقف الشاعر من الزمان ببعدين: الأول معايشة الحاضر وتصور المستقبل بالتفجع والتشاؤم والسوداوية. والآخر هروب من الواقع المر عبر استنكار الماضي، والبعدان يشملان موضوعات شكوى الدهر، والموت، والليل، والشيب والشباب.

(١) ديوانه: ٣٩٦.

ii () يقول ابن الأثير مثلاً عن الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ): "كان قبيح السيرة في رعايته ظالماً، فخرّب في أيامه العراق، وتفرّق أهله في البلاد، واخذ املاكهم واموالهم، كان يفعل الشيء وضده" الكامل في التاريخ: ٤٤٠/١٢.

iii () يوجد في الديوان المطبوع (٢٠) قصيدة قالها بعد فقده البصر، ونظن أنه قال أكثر من هذا العدد بكثير لأن جامع الديوان لم يطبع على مخطوطتين للديوان على درجة عالية من الأهمية والنفاسة، احدهما بغدادية فيها (٧٠٨٧) بين، والاخرى مكية فيها (٨٣٣٥) بيت، بينما يحوي الديوان المطبوع على (٦٦٥٥) بيت فقط؟ ينظر: سبط ابن التعاويذي ٩٣-١٠٠.

iv () كذا في الديوان والصواب يحل به من السلطان.

v () ديوانه.

vi () استاذ الدار وظيفه استحدثت في العصر العباسي الأخير، يتولى صاحبها شؤون دار الخلافة، وقد تتعدى سلطته سلطة الوزير، ينظر: حضارة العراق ٦٤/٥.

vii () هو مجد الدين ابو الفضل هبة الله بن صاحب استاذ دار الخلافة، قام بالبيعة للخليفة الناصر لدين الله وتحكم في أمور الدولة، قتل في سنة (٥٨٣هـ) بأمر من الخليفة، ينظر: الكامل في التاريخ ٥٦٢/١١.

viii () م. ن ٦ - ٧.

ix () م. ن ٧ - ٨.

x () م. ن ٩.

xi () م. ن ١٠.

xii () م. ن ١٥١ - ١٥٢.

xiii () م. ن ١٥٤ - ١٥٥.

xiv () م. ن ٩٩.

xv () انظر القصائد ٤٤ و ٩٨ و ٢٠٨ و ٢٤٣ و ٢٦٦ و ٢٦٧ ديوانه.

xvi () م. ن ٢٢٢.

- xvii () م. ن ٢٢٣.
- xviii () ديوانه ٤٤، الاتراب واللدات/ المتماثلون.
- xix () م. ن ٧، غب عطاء: قليل عطاء، ففوّت [اساس البلاغة/ فوق وفوّق السهم: جعل الوتر في فوقه عند الرمي].
- xx () ينظر: الاغتراب وعلاقته بالتمرد وقلق المستقبل ٧٧.
- xxi () ديوانه ٢٧٢.
- xxii () م. ن ٢٧٣.
- xxiii () ديوانه ٣٩٦.
- xxiv () ينظر: قلق الكفيف ٢٣، وديوانه ٧٩.
- xxv () م. ن ١٩٢.
- xxvi () م. ن الصفحة ذاتها.
- xxvii () م. ن ١٩١.
- xxviii () م. ن ١٩١.
- xxix () ينظر: قلق الكفيف ٢٤.
- xxx () ديوانه ٦٨.
- xxxi () م. ن ١٢١، يمشي الضراء: يمشي مستويًا، رُخاء: ريح لينة سريعة، تعتام: تختار
- xxxii () م. ن ١٩١.
- xxxiii () ينظر: قلق الكفيف ٨٤.
- xxxiv () ديوانه ٣٩٥.
- xxxv () ينظر: مشكلة الانسان ١١٣.
- xxxvi () ينظر: قلق الموت ١٨.
- xxxvii () ديوانه ٧٩.
- xxxviii () ديوانه ١٩٢، ٤٨٢ - ٤٨٣.

xxxix () م. ن ٦٣.

xl () ديوانه ٤٨٢، وينظر المصدر نفسه ٩، ٧٩، ١٤٨.

xli () م. ن ٣٧١.

قائمة المصادر والمراجع :

ابن جبير. (د.ت). رحلة ابن جبير. بيروت: دار صادر.

أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (٦٠٨ - ٦٨١هـ) ابن خلكان. (د.ت). وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان. (حقيقه الدكتور احسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.

الاغتراب. (د.ت). وعلاقته بالتمرد وقلق المستقبل لدى طلبة الجامعة.

ألاغتراب. (د.ت). الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الانسان بين الحلم والواقع.

الاغتراب في الشعر الجاهلي. (بلا تاريخ).

الدكتور حسن ابراهيم حسن. (د.ت). تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مج ٤. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الدكتور مصطفى جواد. (١٩٥٥). سبط ابن التعاويني. بغداد: نقلاً عن بحث للمرحوم في مجلة المجمع العلمي العراقي.

الدكتورة سميرة سلامي. (٢٠٠٠). الاغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجري (المجلد ط١). دمشق: دار الينابيع.

الرومي ياقوت الحموي. (١٩٩٣). معجم الادباء (ارشاد الاريب الى معرفة الأديب) (المجلد ط١). (تحقيق الدكتور احسان عباس، المحرر) بيروت: دار الغرب الاسلامي.

- الشيخ العلامة عز الدين ابي الحسن على ابن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بأبن الأثير . (١٩٨٢). *الكامل في التاريخ*. بيروت: دار صادر .
- القصيدة (٥٧) في ديوانه*. (بلا تاريخ).
- القيم الجمالية في شعر الكميت بن زيد الاسدي* . (بلا تاريخ).
- حضارة العراق . (د.ت). *تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي*.
- د. حسن احمد عيسى . (١٩٧٩). *الابداع في الفن والعلم*. الكويت : سلسلة عالم لمعرفة (٢٤)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- د. عبد الحلیم حنفي . (١٩٨٧). *مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- د. عبد القادر موسى المحمدي . (٢٠٠١). *الاغتراب في تاريخ صوفية الاسلام*. بغداد: بيت الحكمة.
- سبط بن التعاويذي . (١٩٠٣). *ديوان*. (اعتنى بنسخه وتصحيحه د. س. مرجليوث (نسخة مصورة عن طبعه المقتطف بمصر، المحرر) بيروت: دار صادر .
- صالح زامل . (٢٠٠٣). *تحول المثال، دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- عبد الكريم توفيق العبود . (١٩٧٦). *الشعر العربي في العراق من سقوط السلطنة حتى سقوط بغداد*. بغداد: منشورات وزارة الاعلام، سلسلة الكتب الحديثة (٩٧) .
- للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري أبن منظور . (د.ت). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر .
- مزه عبد السوداني . (١٩٨٠). *الشعر العراقي في القرن السادس الهجري*. بغداد: منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة دراسات (٢١٥).

- نوري شاكرا الألويسي. (١٩٧٥). *سبط ابن التعاويني حياته وشعره* (المجلد ط١). بغداد: مطبعة الأزهر.
- نيقولاى برديائف. (١٩٨٢). *العزلة والمجتمع*. (ترجمة فؤاد كامل عبد العزيز، مراجعة علي أدهم، المحرر) الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ينظر. (د.ت). *العزلة الاجتماعية لدى المكفوفين وعلاقتها بأساليب المعادلة الوالدية*.
- ينظر. (د.ت). *بناء مقياس للأناية، دراسة مقارنة بين المكفوفين والمبصرين*.